الباب الثلاثون

فى تفصيل أخلاق الصوفية

من أحسن أخلاق الصوفية «التواضع»، ولا يلبس العبد لبسة أفضل من التواضع، ومن ظفر بكنز التواضع والحكمة يقيم نفسه عند كلٍ أحد مقدارًا يعلم أنـه يقيمـه، ويقيم كلَّ أحد على ما عنده من نفسه؛ ومن رزق هذا فقد استراح وأراح.

﴿وما يعقلها إلاّ العالمون﴾ [١].

أخبرنا أبو زُرعة ، عن أبيه الحافظ المقدسي قال: أخبرنا عثمان بن عبد الله قال: أخبرنا عبد الرحمن بن إبراهيم قال: حدثنا عبد الرحمن بن حمدان قال: حدثنا أبو حاتم الرازى، قال: حدثنا النضر بن عبد الجبار، قال: أخبرنا ابن لهيعة، عن يزيد بن أبى حبيب، عن سنان بن سعد، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال:

«إنَّ الله تعالى أوحى إلىَّ أن تواضعوا ولا يبغى بعضكم على بعض»[٢].

وقال عليه الصلاة والسلام فى قوله تعالى:﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى﴾[٣] قال:

«على البرّ والتقوى والرهبة وذلّة النفس».

وكان من تواضع رسول الله ﷺ: أن يجيب دعوة الحرّ والعبد، ويقبلَ الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب، ويكافئ عليها، ويأكلها، ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمسكين[٤].

وأخبرنا أبو زُرعة - إجازة - عن ابن خلف - إجازة - عن السلمى قال: أخبرنا أحمد بن على المقرى، قال: أخبرنا محمد بن المنهال، قال: حدثنى أبى، عن محمد بن جابر اليمانى، عن سليمان بن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ من رأس التواضع أن تبدأ بالسلام على من لقيت، وتردّ على من سلّم عليك وأن ترضى بالدون من المجلس، وأن لا تحب المدحة والتزكية والبرّ».

---

(١) الآية ٤٣ من العنكبوت.

(٢) البخارى فى الأدب وابن ماجه عن أنس بسند صحيح وروى مسلم وأبو داود وابن ماجه عن فياض بن حماد وبسند صحيح: «إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا نفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد».

(٣) آية رقم ٣١ من سورة آل عمران.

(٤) انظر شمائل الرسول لابن كثير، والترمذى.

وورد أيضًا عنه عليه الصلاة والسلام: «طوبى لمن تواضع من غير منقصة، وذلّ فى نفسه من غير مسكنة»[١].

سئل الجنيد عن التواضع، فقال: خفض الجناح ولين الجانب. وسئل الفضيل عن التواضع، فقال: تخضع للحق وتنقاد له، وتقبله ممن قاله، وتسمع منه. وقال أيضًا: من رأى لنفسه قيمةً فليس له فى التواضع نصيب.

وقال وهب بن منبّه: «مكتوب فى كتب الله: إنّى أخرجت الذرّ من صُلب آدم فلم أجد قلبًا أشدّ تواضعًا إلىّ من قلب موسى عليه السلام؛ فلذلك اصطفيته وكلمته».

وقيل: من عرف كوامن نفسه لم يطمع فى العلوّ والشرف، ويسلك سبيل التواضع؛ فلا يخاصم من يَذمُّه، ويشكر الله لم يحمده.

قال أبو حفص: من أحبّ أن يتواضع قلبُه فَلْيصحب الصالحين، ولْيلتزم بحرمتهم؛ فمن شدّة تواضعهم فى أنفسهم يُقتدى بهم ولا يتكبّر.

وقال لقمان، عليه الصلاة والسلام: ولكل شىء مطيّة، ومطيّةُ العمل التواضعُ.

وقال النورىّ[٢]: خمسة أنفس أعزُّ الخَلْق فى الدنيا.

[عالم زاهد، وفقيه صوفى، وغنى متواضع، وفقير شاكر، وشريف سنىّ].

وقال الجلاد[٣]: لولا شرف التواضع كنا إذا مشينا نخطر.

وقال يوسف بن أسباط، وقد سئل: ما غاية التواضع؟

قال: أن تخرج من بيتك فلا تلقى أحدًا إلا رأيته خيرًا منك.

ورأيت شيخنا ضياء الدين أبا النجيب - وكنت معه فى سفره إلى الشام وقد بعث بعض أبناء الدنيا له طعامًا على رءوس الأسارى من الإفرنج وهم فى قيودهم - فلمّا مدّت السفرة والأسارى ينتظرون الأوانى حتى تفرغ قال للخادم: أحضر الأسارى حتى يقعدوا على السفرة مع الفقراء. فجاء بهم، وأقعدهم على السفرة صفًّا واحدًا، وقام الشيخ من سجادته ومشى إليهم، وقعد بينهم كالواحد منهم، فأكل وأكلوا، وظهر لنا على وجهه

---

(١) البخارى فى التاريخ والبغوى والبارودى وابن قانع والطبرانى والبيهقى عن ركب المصرى بسند حسن.

(٢) وهو: أبو الحسين أحمد بن محمد النورى، بغدادى المولد والمنشأ. من أذان الجنيد قال الخطيب البغدادى: هو أعلم العراقيين بلطائف القوم توفى سنة ٢٩٥هـ.

(٣) هو: أبو عبد الله أحمد بن يحيى الجلاّء. بغدادى الأصل أقام بدمشق: صحب أبا تراب، وذا النون، وصحب هو أباه يحيى الجلاّء.

ما نازل باطنه من التواضع لله والانكسار فى نفسه وانسلاخه من التكبرّ عليهم بإيمانه وعلمه وعمله.

أخبرنا أبو زُرعة، إجازة، عن أبى بكر بن خلف، إجازة، عن السلمى، قال: سمعت أبا الحسين الفارسى يقول: سمعت الجريرى يقول:

صحّ عند أهل المعرفة أن للدّين رأس مال: خمسة فى الظاهر، وخمسة فى الباطن.

فأما اللواتى فى **الظاهر**: فصدق فى اللسان، وسخاوة فى الملك، وتواضع فى الأبدان، وكفّ الأذى، واحتماله بلا إباء.

وأما اللواتى فى **الباطن**: فحبُّ وجود سيِّده، وخوف الفراق من سيّده، ورجاء الوصول إلى سيده، والندم على فعله والحياء من ربّه.

وقال يحيى بن معاذ: التواضع فى الخَلق حسن، ولكن فى الأغنياء أحسن، والتكبر سمج فى الخلق، ولكن فى الفقراء أسمج.

وقال ذو النون: ثلاثة من علامات التواضع: تصغير النفس معرفةً بالعيب، وتعظيم النفس[1] حرمة للتوحيد، وقبول الحق والنصيحة من كل واحد.

وقيل لأبى يزيد: متى يكون الرجل متواضعًا؟ قال: إذا لم ير لنفسه حقًّا مَّا، ولا حالاً من علمه بشرّها، وازدرائها، ولا يرى أن فى الخلق شرًّا منه.

قال بعض الحكماء: وجدنا التواضع مع الجهل والبخل أحمدَ من الكبر مع الأدب والسخاء.

وقيل لبعض الحكماء: هل تعرف نعمةً لا يُحسد عليها، وبلاءً لا يرحم صاحبه عليه؟ قال: نعم، أما النعمة فالتواضع، وأما البلاء فالكبر.

والكشف عن حقيقة التواضع: أن التواضع رعاية الاعتدال بين الكبر والضَّعة؛ فالكبر رفع الإنسان نفسه فوق قدره، والضعة وضع الإنسان نفسه مكانًا يزرى به ويفضى إلى تضييع حقّه.

وقد انفهم[2] من كثير من إشارات المشايخ فى شرح التواضع أشياء إلى حدٍّ أقاموا التواضع فيه مقام الضعة، ويلوح فيه الهُوِىُّ من أوَج الإفراط إلى حضيض التفريط، ويُوهم

---

(١) وفى نسخة: وتعظيم الناس.

(٢) وفى نسخة: يفهم.

انحرافًا عن حدّ الاعتدال، ويكون قصدهم فى ذلك: المبالغة فى قمع نفوس المريدين خوفًا عليهم من العجب والكبر، فَقلَّ أن ينفك مريد فى مبادئ ظهور سلطان الحال من العجب، حتى لقد نقل عن جمع من الكبار كلماتٌ مؤذنة بالإعجاب، وكلُّ ما نقل من ذلك القبيل من المشايخ لبقايا السكر عندهم وانحصارهم فى مضيق سكر الحال، وعدم الخروج إلى فضاء الصحو فى ابتداء أمرهم، وذلك إذا حدق صاحب البصيرة نَظَرَهَ يعلم أنه من استرقاق[1] النفس السمع عند نزول الوارد على القلب، والنفسُ إذا استرقت السمع عند ظهور الوارد على القلب ظهرت بصفتها على وجه لا يجفو على الوقت وصلافة[2] الحال، فيكون من ذلك كلمات مؤذنة بالعجب، كقول بعضهم: مَن تحت خضراء السماء مثلى؟. وقول بعضهم: قدمى على رقبة جميع الأولياء، وكقول بعضهم: أسرجتُ وألجمت وطُفت فى أقطار الأرض وقلت هل من مبارز؟ فلم يخرج إلىّ أحد. إشارة منه فى ذلك إلى تفرّده فى وقته.

ومن أشكل عليه ذلك ولم يعلم أنه من استراق النفس السمع فليزن ذلك بميزان أصحاب رسول الله ﷺ، وتواضعهم واجتنابهم أمثال هذه الكلمات، واستبعادهم أن يجوز للعبد التظاهر بشىء من ذلك، ولكن يجعل لكلام الصادقين وجه فى الصحة، ويقال: إن ذلك طفح عليهم فى سكر الحال وكلام السُكارى يحمل.

فالمشايخ أرباب التمكن لمّا علموا فى النفوس هذا الداء الدفين بالغوا فى شرح التواضع إلى حدٍ ألحقوه بالصفة تداويًا للمريدين.

والاعتدال فى التواضع: أن يرضى الإنسان بمنزلة دُوين[3] ما يستحقه، ولو أمن الشخص جموحَ النفس لأوقفها على حدٍ يستحقه من غير زيادة ولا نقصان.

ولكن لمّا كان الجموح فى جبلّة النفس لكونها مخلوقة من صلصال[4] كالفخار فيها نسبة النارية وطلب الاستعلاء بطبعها إلى مركز النار — احتاجت للتداوى بالتواضع، وإيقافها دوين ما تستحقه؛ لئلا يتطرّق إليها الكبر.

فالكبر ظنُّ الإنسان أنه أكبر من غيره، والتكبّر إظهاره ذلك، وهذه صفة لا يستحقها إلا الله تعالى، ومن ادّعاها من المخلوقين يكون كاذبًا.

---

(١) وفى نسخة: استراق. وهى أفصح.

(٢) الصلف: التكلم بما يكره، والتمدح بما ليس عنده وبما ليس فيه من الصفات، وتصلّف له: تكلّم بما لايرضاه.

(٣) دوين تصغير دون.

(٤) يشير ذلك إلى قوله تعالى: ﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار، وخلق الجان من مارج من نار﴾.

والكبر يتولّد من الإعجاب، والإعجابُ من الجهل بحقيقة المحاسن، والجهل الانسلاخ من الإنسانية حقيقة.

وقد عظم الله شأن الكبر بقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[٢] وقد ورد يقول الله تعالى: «الكبرياء ردائى، والعظمة إزارى، فمن نازعنى واحدًا منهما قصمته»[٣].

وفى رواية «قذفته فى النار».

وقال تعالى ردًا للإنسان فى طغيانه إلى حدّه.

﴿ وَلاَ تَمْشِ فِى الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ، خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾[٥].

وأبلغ من هذا قوله تعالى: ﴿قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَه مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾[٦].

وقد قال بعضهم لبعض المتكبرين: أوَّلُكَ نطفةٌ مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت فيما بين ذلك حامل العذرة.

وقد نظم الشاعر هذا المعنى:

كيف يزهو من رجيعه[٧] أبَدَ الدهر ضجيعه!!

وإذا ارتحل التواضع من القلب وسكن الكبر انتشر أثره فى بعض الجوارح، ويرشح الإناء بما فيه، فتارة يظهر أثره فى العنق بالتمايل، وتارة فى الخدِّ بالتصعير، قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾[٨] وتارة يظهر فى الرأس عند استعصاء النفس، قال الله تعالى: ﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾[٩].

---

(١) الآية من سورة النحل: ٢٣.

(٢) الآية من سورة الزمر. ٦٠.

(٣) أحمد وأبو داود وابن ماجه عن أبى هريرة وابن ماجه عن ابن عباس بسند صحيح.

(٤) أية رقم ١٨ من سورة لقمان.

(٥) آية رقم ٦ من سورة الطارق.

(٦) من سورة عبس الآيات ١٧ ، ١٨ ، ١٩.

(٧) الرجيع: الروث والقذرة.

(٨) آية ١٨ من سورة لقمان.

(٩) آية رقم ٥ سورة المنافقون.

وكما أن الكبر له انقسام على الجوارح والأعضاء تتشعب منه شعب [فكذلك] بعضها أكثف من البعض: كالتيه والزهو، والعزّة وغير ذلك، إلا أن العزّة تشتبه بالكبر من حيثُ الصورةُ، وتختلف من حيث الحقيقة كاشتباه التواضع بالضعة، والتواضع محمود والضعة مذمومة، والكبر مذموم والعزّة محمودة، قال الله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1] والعزة غير الكبر، ولا يحل لمؤمن أن يذل نفسه، فالعزّة معرفة الإنسان بحقيقة نفسه، وإكرامُها: أن لا يضعها لأعراض عاجلة دنيوية، كما أن الكبر جهل الإنسان بنفسه وإنزالها فوق منزلتها.

قال بعضهم للحسن: ما أعظمك فى نفسك! قال: لست بعظيم ولكنّى عزيز.

ولما كانت العزّة غير مذمومة، وفيها مشاكلة بالكبر قال الله تعالى:

﴿تَسْتَكْبِرونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[2]

فيه إشارة خفيّة لإثبات العزّة بالحق، فالوقوف على حدّ التواضع من غير انحراف إلى الضعة وقوفٌ على صراط العزّة المنصوب على متن نار الكبر، ولا يؤيد فى ذلك ولا يثبت عليه إلاّ أقدام العلماء الراسخين والسادة المقرّبين ورؤساء الأبدال والصديقين.

قال بعضهم: من تكبّر فقد أخبر عن نذالة نفسه، ومن تواضع فقد أظهر كرم طبعه.

وقال الترمذىّ: التواضع على ضربين.

الأول أن يتواضع العبد لأمر الله ونهيه؛ فإن النفس لطلب الراحة تتعلّى فى أمره، والشهوة التى فيها تهوى فى نهيه، فإذا وضع نفسه لأمره ونهيه فهو تواضع.

والثانى أن يضع نفسه لعظمة الله، فإن اشتهت نفسه شيئًا مما أطلق له من كل نوع من الأنواع منعها ذلك. وجملة ذلك أن يترك مشيئته لمشيئة الله تعالى.

واعلم أن العبد لا يبلغ حقيقة التواضع إلاّ عند لمعان نور المشاهدة فى قلبه؛ فعند ذلك تذوب النفس، وفى ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب، فتلين وتطيع[3] للحق والخلق لمحو آثارها وسكون وهجها وغبارها.

---

(١) آية ٨ سورة المنافقون.

(٢) آية ٢٠ من سورة الأحقاف.

(٣) وفى نسخة: وتنطبع.

وكان الحظّ الأوفر من التواضع لنبينا محمد ﷺ فى أوطان القرب، كما روى عن عائشة رضى الله عنها فى الحديث الطويل، قالت: فقدت رسول الله ﷺ ذات ليلة، فأخذنى ما يأخذ النساء من الغيْرة؛ ظنًا منى أنه عند بعض أزواجه، فطلبته فى حُجَر نسائه فلم أجده، فوجدته فى المسجد ساجدًا كالثوب الخلق، وهو يقول فى سجوده: «سجد لك سوادى وخيالى. وآمن بك فؤادى، وأقرَّ بك لسانى، وها أنذا بين يديك، يا عظيم، يا غافر الذنب العظيم»[١].

وقوله عليه السلام: «سجد لك سوادى وخيالى» استقصاء فى التواضع بمحو آثار الوجود حيث لم تتخلّف ذرّة منه عن السجود ظاهرًا وباطنًا.

ومتى لم يكن للصوفى حظٌّ من التواضع الخاص على بساط القرب لا يتوفّر حظه فى التواضع للخلق، وهذه سعادات إن أقبلت جاءت بكليتها، والتواضع من أشرف أخلاق الصوفية.

ومن أخلاق الصوفية: المداراةُ، واحتمال الأذى من الخلق.

وبلغ من مداراة رسول الله ﷺ: أنه وجد قتيلاً من أصحابه بين اليهود، فلم يَحِف[٢] عليهم، ولم يزد على مرّ الحق بل وداه[٣] بمائة ناقة من قبله، وإن بأصحابه لحاجة إلى بعير واحد يتقوون به.

وكان من حسن مداراته أن لا يذمّ طعامًا، ولا ينهر خادمًا.

أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن على، قال: أخبرنا أبو الفتح الكرخى، قال: أخبرنا أبو النصر التريساقى، قال: أخبرنا الجراحى، قال: أخبرنا أبو العباس المحبوبى، قال: أخبرنا أبو عيسى الترمذى، قال: حدثنا قتيبة، قال: حدثنا جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس قال: «خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لى أفٍ قطّ، وما قال لشىء صنعته لِم صنعته، ولا لشىء تركته لِم تركته، وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقًا، وما مسستُ خزًّا قط، ولا حريرًا، ولا شيئًا كان ألْيَن من كفّ رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكًا قط، ولا عطرًا كان أطيب من عَرَق رسول الله ﷺ»[٤].

---

(١) الحاكم من حديث ابن مسعود بسند ضعيف وفى مسلم كان يقول فى السجود: اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره وتبارك الله أحسن الخالقين.

(٢) لم يجر ولم يظلم.

(٣) وداه: دفع ديته.

(٤) متفق عليه.

فالمداراةُ مع كلِّ أحدٍ الأهل والأولاد والجيران والأصحاب والخَلْق كافَّةً من أخلاق الصوفية، وباحتمال الأذى يظهر جوهر النفس، وقد قيل: لكل شيءٍ جوهر، وجوهر الإنسان العقل، وجوهرُ العقل الصبرُ.

أخبرنا أبو زُرعة طاهر عن أبيه الحافظ المقدسيّ قال: أخبرنا أبو محمد الصريفيني قال: أخبرنا أبوالقاسم عبيدالله بن حبابة، قال: أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن عبد العزيز قال: حدثنا على بن الجعد، قال: أخبرنا شعبه، عن الأعمش، عن يحيى بن وثاب، عن شيخ من أصحاب رسول الله ﷺ، قلت: من هو؟ قال: ابن عمر عن النبى ﷺ أنه قال: «المؤمن الذى يعاشر الناس ويصبر على أذاهم خير من الذى لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم»[1] وفى الخبر: «أيعجز أحدكم أن يكون كأبى ضمضم؟» قيل: ماذا كان كان يصنع أبو ضمضم؟.

قال: «كان إذا أصبح قال: اللهم إنى تصدقت اليوم بعرضى على من ظلمنى، فمن ضربنى لا أضربه، ومن شتمنى لا أشتمه، ومن ظلمنى لا أظلمه».

وأخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب قال: أخبرنا أبو الفتح الهروى، قال: حدثنا الترياقى، قال: أخبرنا الجراحى، قال: أخبرنا المحبوبى، قال: أخبرنا أبو عيسى الترمذى، قال: حدثنا ابن أبى عمر، قال: حدثنا سفيان عن محمد بن المنكدر، عن عروة عن عائشة رضى الله تعالى عنها، قالت: استأذن رجل على رسول الله ﷺ، وأنا عنده، فقال: «بئس ابن العشيرة» «أو أخو العشيرة» ثم أذن له، فألان له القولَ، فلما خرج قلت: يا رسول الله، قلتَ له ما قلت، ثم ألنت له القول. قال ﷺ: «يا عائشة، إنّ من شرّ الناس من يتركه الناس أو يدعه الناس اتقاء فُحشه».

وروى أبو ذرٍّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اتق الله حينما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»[2].

فما شيءٌ يُستدلُ به على قُوَّةِ عقل الشخص، ووفور علمه وحلمه كحسن المدارة، والنفس لا تزال تشمئز ممن يعكس مرادها؛ ويستفزُّها الغيظ والغضب وبالمداراة قطع حمة[3] النفس وردّ طيشها ونفورها، وقد ورد: «من كظم غيظًا وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيّره فى أىّ الحور شاء»[4].

---

(١) سنن ابن ماجه رقم ٤٠٣٢.

(٢) رواه البخارى ومسلم.

(٣) تطاولها وغرورها.

(٤) رواه ابن ماجه رقم ٤١٨٦.

وروى جابر رضى الله عنه، عن رسول الله ﷺ ، قال: «ألا أخبركم على من تحرم النار؟ على كلّ هيّن (لين) سهل، قريب»[١].

وروى أبو مسعود الأنصارى، رضى الله عنه قال: أتى النبى عليه الصلاة والسلام برجل، فكلّمه، فَأرعد[٢] ، فقال: «هوّن عليك؛ فإنى لست بملكٍ إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد».

وعن بعضهم فى معنى لين جانب الصوفية:

هينون ليّنون أيسار بنو يسر ... سوّاس مكرمة أبناء أيسار

لا ينطقون عن الفحشاء إن نطقوا ... ولا يمارون، إن ماروا، بإكثار

مَن تلق منهم تقل: لا قيتُ سيّدهم ... مثل النجوم التى يسرى بها السارى

وروى أبو الدرداء، عن النبى ﷺ قال: «من أعطى حظّه من الرفق أعطى حظّه من الخير، ومن حرم حظّه من الرفق فقد حرم حظّه من الخيْر»[٣].

حدّثنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب إملاءً قال: حدثنا أبو عبد الرحمن محمد بن أبى عبد الله المالينى، قال: أخبرنا أبو الحسين عبد الرحمن بن أبى طلحة الداودى قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله الحموى السرخسى، قال: أخبرنا أبو عمر أن عيسى بن عمر السمرقندى قال: أخبرنا عبدالله بن عبد الرحمن الدرامى قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن أبى خلف قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد، عن محمد بن إسحق قال: حدثنى عبد الله بن أبى بكر، عن رجل من العرب قال: زَحمت رسول الله ﷺ يوم حنين، وفى رجلى نعلٌ كثيفة، فوطئت بها على رجل رسول الله ﷺ ، فنفحنى نفحة بسوط فى يده وقال «بسم الله أوجعتنى» قال: فبتّ لنفسى لائمًا أقول: أوجعتُ رسول الله ﷺ ، قال: فبت بليلة كما يعلم الله فلما أصبحنا إذا برجل يقول: أين فلان؟ قلت: هذا والله الذى كان منّى بالأمس، قال: فانطلقت وأنا متخوّف فقال لى: إنك وطئت بنعلك على رجلى بالأمس فأوجعتنى، فنفحتك نفحةً بالسوط فهذه ثمانون نعجة فخذها بها»[٤].

---

(١) رواه أحمد والترمذى وقال حسن غريب.

(٢) أرعد بضم الهمزة: أخذته الرعدة فارتعد واضطرب واهتز. والحديث عند ابن ماجة رقم ٣٣١٢.

(٣) رواه فى شرح السنة ورواه الحكيم عن عائشة .

(٤) راجع البداية والنهاية لابن كثير جـ ٥ ص ٣٥٥.

الإيثار

ومن أخلاق الصوفية: الإيثارُ، والمواساةُ، ويحملهم على ذلك فرط الشفقة والرحمة طبعًا، وقوة اليقين شرعًا لأنهم (يؤثرون لموجود ويصبرون عن المفقود)[١].

قال أبو يزيد البسطامى: «ما غلبنى أحدٌ ما غلبنى شاب من أهل «بلخ» قَدِم علينا حاجًّا، فقال لى: يا أبا يزيد، ما حدّ الزهد عندكم؟ قلت: إذا وجدنا أكلنا، وإذا فقدنا صبرنا، فقال: هكذا عندنا كلاب بلخ، فقلت له: وما حدّ الزهد عندكم؟ قال: إذا فقدنا شكرنا، وإذا وجدنا آثرنا».

وقال ذو النون المصرى: «من علامة الزاهد المشروح صوره ثلاث: تفريق المجموع، وترك طلب المفقود، والإيثار بالقوت[٢].

روى عبد الله بن عباس، رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ يوم النضير للأنصار: «إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم وديياركم وتشاركونهم فى هذه الغنيمة، وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم نقسم لكم شيئا من الغنيمة» فقالت الأنصار: بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها، فأنزل الله تعالى: ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾[٣].

وروى لأبوهريرة رضى الله عنه، قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، وقد أصابه جهد، فقال: يا رسول الله إنى جائع فأطعمنى، فبعث رسول الله ﷺ إلى أزواجه: «هل عندكن شىء؟» فكلتهن قلن: والذى بعثك بالحق نبيا ما عندنا إلا الماء، فقال رسول الله ﷺ: «ما عندنا ما نطعمك هذه الليلة»!! ثم قال: «من يضيف هذا هذه الليلة رحمه الله» فقال رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله؛ فأتى به منزله فقال لأهله: هذا ضيف رسول الله ﷺ فأكرميه ولا تدخرى عنه شيئا، فقالت: ما عندنا إلا قوت الصبية!! فقال: فقومى عللييهم[٤] عن قوتهم حتى يناموا ولا يطعمون شيئا، ثم أرجى، فإذا أخذ الضيف ليأكل فقومى كأنك تصلحين السراج فأطفئيه وتعالى نمضغ ألسنتنا

---

(١) وهذا مما أبلغ ما جاء فى بعض النسخ: لأنهم يؤثرون بالوجود ويصبرون على المفقود.

(٢) وفى نسخة: والإيثار من القوت.

(٣) آية ٩ من سورة الحشر، والحديث رواه الحاكم فى الإكليل.

(٤) عللييهم: ألهيهم وأبعديهم.

لضيف رسول الله ﷺ حتى يشبع ضيف رسول الله، فقامت إلى الصبية فعللتهم حتى ناموا عن قوتهم ولم يطعموا شيئًا، ثم قامت فأثردت، وأسرجت؛ فلما أخذ الضيف ليأكل قامت كأنها تصلح السراج فأطفأته، فجعلا يمضغان ألسنتهما لضيف رسول الله ﷺ وظن الضيف أنهما يأكلان معه، حتى شبع الضيف، وباتا طاويين. فلما أصبحوا غدوا إلى رسول الله ﷺ، فلما نظر إليهما تبسّم رسول الله ﷺ ثم قال: «لقد عجب الله من فلان وفلانة هذه الليلة» وأنزل الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[1].

قال أنس رضى الله تعالى عنه: أهدى لبعض أصحابه رأس شاة مشوى، وكان مجهودًا، فوجّه به إلى جار له، فتداوله سبعة أنفس، ثم عاد إلى الأول، فأنزلت الآية لذلك.

وروى أن أبا الحسن الأنطاكى اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلاً بقرية من بقرب «الرىّ» وله أرغفة معدودة لم تشبع خمسة معهم، فكسروا الرغفان، وأطفئوا السراج، وجلسوا للطعام؛ فلما رفعوا الطعام فإذا هو بحاله لم يأكل أحدٌ منهم؛ إيثارًا منه على نفسه.

وحكى عن حذيفة العدوى قال: انطلقت يوم اليرموك لطلب ابن عم لى ومعى شىء من ماء، وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته ومسحت وجهه، فإذا أنا به، فقلت: أسقيك؟ فأشار إلىّ أنْ نعم، فإذا رجل يقول: آه فقال ابن عمى: انطلق به إليه، فجئت إليه، فإذا هو هشام بن العاص، فقلت: أسقيك؟ فسمع هشام آخر يقول: آه، فقال: انطلق به إليه. فجئت إليه فإذا هو قد مات، ثم رجعت إلى هشام فإذا هو أيضًا قد مات، ثم رجعت إلى ابن عمى فإذا هو أيضًا قد مات.

وسئل أبو الحسين البوشنجى[2] عن الفتوّة؟ فقال: الفتوّة عندى ما وصف الله تعالى به الأنصار فى قوله: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ والإيمَانَ ﴾.

قال ابن عطاء: ﴿ يؤثرون على أنفسهم ﴾ جودًا وكرمًا ﴿ وَلَوْ كَان بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ يعنى: جوعًا وفقرًا.

---

(١) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى.

(٢) هو: أبو الحسن على بن أحمد بن سهل البوشنجى، نسبة إلى «بوشنج» وهى بلدة تقع على بعد سبعة فراسخ من «هراة». وهو أحد فتيان خراسان. لقى ابن عطاء والجريرى وأبا عمرو الدمشقى، مات سنة: ٣٤٨هـ.

قال أبو حفص: الإيثار: هو أن يقدّم حظوظ الإخوان على حظوظه فى أمر الدنيا والآخرة.

وقال بعضهم: الإيثار لا يكون عن اختيار، إنما الإيثار أن تقدّم حقوق الخلق أجمع على حقّك، ولا تميّز فى ذلك بين أخ أو صاحب، وذى معرفة.

وقال يوسف بن الحسين[١]: من رأى لنفسه مِلكًا لا يصحُّ منه الإيثار؛ لأنه يرى نفسه أحقَّ بالشىء برؤية ملكه؛ إنما الإيثار ممن يرى الأشياء كلّها للحق؛ فمن وصل إليه فهو أحق به، فإذا وصل شىء من ذلك إليه يرى نفسه ويده فيه يد أمانة يوصّلها إلى صاحبها، أو يؤديها إليه.

وقال بعضهم: حقيقة الإيثار أن تؤثر بحظّ آخرتك على إخوانك؛ فإن الدنيا أقل خطرًا من أن يكون لإيثارها محل أو ذكرٌ.

ومن هذا المعنى: ما نقل أن بعضهم رأى أخًا له فلم يظهر البشر الكثير فى وجهه، فأنكر أخوه ذلك منه فقال: يا أخى سمعت أن رسول الله ﷺ قال: «إذا التقى المسلمان ينزل عليهما مائة رحمة: تسعون لأكثرهما بشرًا وعشرة لأقلهما بشرًا»[٢] فأردت أن أكون أقلَّ بشرًا منك ليكون لك الأكثر.

أخبرنا الشيخ ضياء الدين أبو النجم، إجازة، قال: أخبرنا أبو حفص عمر بن الصفّار النيسابورى، وقال: أخبرنا أبوبكر أحمدبن خلف الشيرازى، قال: أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى، قال: سمعت أبا القاسم الرازى يقول: سمعت أبا بكر بن أبى سعدان يقول: «من صحب الصوفية فليصحبهم بلا نفس، ولا قلب، ولا ملك، فمن نظر إلى شىء من أسبابه قطعه ذلك عن بلوغ مقصده».

وقال سهل بن عبد الله: الصوفىّ: مَن يرى دمه هدرًا، وملكه مباحًا.

وقال رويم[٣]: التصوّف مبنىّ على ثلاث خصال: التمسك بالفقر والافتقار، والتحقق بالبذل والإيثار، وترك التعرّض والاختيار.

---

(١) هو: يوسف بن الحسين «أبو يعقوب» الرازى. كان عالمًا أديبًا صحب ذا النون المصرى وأبا تراب النخشبى، مات سنة ٣٠٤هـ، ومن أقواله أنه كتب إلى الجنيد يقول: لا أذاقك الله طعم نفسك فإنك إن ذقتها لم تذق بعدها خيرا أبدًا.

(٢) رواه الحكيم وأبو الشيخ عن عمر ورمز السيوطى لحسنه بنحوه.

(٣) هو: أبو محمد رويم بن أحمد بغدادى، من أجلّ مشايخ التصوف كان مقرئًا وفقيهًا، مات سنة ٣٠٣هـ.

قيل: لمّا سُعِي بالصوفية وتميزّ الجنيد بالفقه وقبض على الشحّام، والرّقام، والنّورى، وبسط النطع[١] لضرب رقابهم.

تقدم النورى، فقيل له: إلى ماذا تبادر؟ فقال: أوثر إخوانى بفضل حياة ساعة.

وقيل: دخل الروذبارى دار بعض أصحابه، فوجده غائبًا وباب بيته مغلق، فقال: صوفىّ وله باب مغلق!! اكسروا الباب، فكسروه، وأمر بجميع ما وجدوا فى البيت أن يباع، فأنقذوه إلى السوق، واتخذوا رفقًا[٢] من الثمن وقعدوا فى الدار فدخل صاحب المنزل ولم يقل شيئًا، ودخلت امرأته وعليها كساء، فدخلت بيتًا فرمت بالكساء وقالت: هذا أيضًا من بقية المتاع فبيعوه، فقال الزوج لها: لمَ تكلفت هذا باختيارك؟ قالت: اسكت. مثل الشيخ بباسطنا، ويحكم علينا، ويبْقى لنا شىء ندخره عنه!!.

وقيل: مرض قيس بن سعد، فاستبطأ إخوانه فى عيادته، فسأل عنهم، فقالوا: إنهم يستحيون بما لك عليهم من الدَّين فقال: أخزى الله مالاً يمنع الإخوان من الزيارة، ثم أمر مناديًا ينادى، من كان لقيس مالٌ فهو منه فى حل.. فكسرت عتبة داره بالعشىّ؛ لكثرة عوّاده.

وقيل: أتى رجل صديقًا له ودق عليه الباب، فلما خرج قال: لماذا جئتنى؟ قال: لأربعمائة درهم دين علىّ.. فدخل الدار ووزن أربعمائة درهم، وأخرجها إليه ودخل الدار باكيًا، فقالت امرأته: هلاّ تعلّلت حين شقّ عليك الإجابة؟!.

فقال: إنما أبكى لأنى لم أتفقد حاله حتى احتاج أن يفاتحنى.

وأخبرنا الشيخ أبو زرعة، عن أبيه الحافظ المقدسى، قال: أخبرنا محمد بن محمد إمام جامع أصفهان، قال: حدثنا أبو عبدالله الجرجانى، قال: حدثنا أبوطاهر محمد بن الحسن المحمداباذى، قال: حدثنا أبوالبحترى، قال: حدثنا أبوأسامة قال: حدثنا زيد بن أبى بردة، عن أبى موسى قال: فقال رسول الله ﷺ: «إن الأشعريين إذا أرملوا[٣] فى الغزو وقلّ طعام عيالهم جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد، ثم اقتسموا فى إناء واحد بالسويّة، فهم منّى وأنا منهم».

---

(١) النطع: بساط من الجلد يفرش تحت المحكوم عليه بقطع الرأس.

(٢) فى بعض النسخ: وقتًا.

(٣) فقد زادهم والحديث متفق عليه.

وحدّث جابر، عن رسول الله ﷺ : أنه إذا أن يغزو قال: «يا معشر المهاجرين والأنصار، إن من إخوانكم قومًا ليس لهم مال ولا عدة؛ فليضم أحدكم إليه الرجل أو الرجلين والثلاثة، فما لأحدكم من ظهر جمله إلاّ عقبة كعقبة أحدهم».

قال: فضممت إلى اثنين أو ثلاثة ما لى إلا عقبة كعقبة أحدهم من جمله[١].

وروى أنس قال: لمّا قَدم عبد الرحمن بن عوف المدينةَ آخى النبى ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع، فقال له: أقاسمك مالى نصفين، ولى امرأتان فأطلقّ إحداهما، فإذا انقضت عدّتُها فتزوجها، فقال له عبد الرحمن: بارك الله لك فى أهلك ومالك[٢].

فما حمل الصوفىَّ على الإيثار إلاّ طهارةُ نفسه وشرفُ غريزته، وما جعله الله تعالى صوفيًا إلاّ بعد أن سوّى غريزته لذلك، وكلّ من كانت غريزته السخاء، والسخىُّ يوشك أن يصير صوفيًّا؛ لأن السخاء صفة الغريزة، وفى مقابلته الشحّ، والشحُّ من لوازم صفة النفس، قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [٣].

حكم بالفلاح يُوقى الشحّ، وحكم بالفلاح لمن أنفق وبذل؛ فقال: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [٤] ﴿ أولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأولَئِكَ هُم الْمُفْلِحُونَ ﴾ [٥].

والفلاح: أجمع اسم لسعادة الدارين، والنبى ﷺ نبّه بقوله: «ثلاث مهلكات.. وثلاثة منجيات» فجعل إحدى المهلكات شحًّا[٦] مطاعًا، ولم يقل مجرّد الشحّ يكون مُهلكًا بل يكون مهلكا إذا كان مطاعًا، فأمّا كونه موجودًا فى النفس غير مطاع فإنه لا ينكر ذلك، لأنه من لوازم النفس، مستمدًّا من أصل جبلّتها الترابِ، وفى التراب قبضٌ وإمساكٌ، وليس ذلك بالعجب من الآدمى وهو جبلّى فيه، وإنما العجب وجود السخاء فى الغريزة، وهو لنفوس الصوفية الداعى لهم إلى البذل والإيثارُ والسخاءُ أتمّ وأكمل من الجود؛ ففى مقابلة الجود البخلُ، وفى مقابلة السخاء الشح. والجود والبخلُ يتطرّق إليهما الاكتسابُ

---

(١) روى مسلم عن أبى سعيد أنه صلى الله عليه وسلم قال: «من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضلٌ من زاد فليعد به على من لا زاد له، فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل».

(٢) رواه البخارى.

(٣) آية رقم ٩ من سورة الحشر.

(٤) آية رقم ٣ من سورة البقرة.

(٥) آية ٥ من سورة البقرة.

(٦) رواه الطبرانى فى الأوسط عن ابن عمر.

بطريق العادة، بخلاف الشحّ والسخاء إذا كان من ضرورة الغريزة، وكلُّ سخيّ جوادٌ وليس كل جواد سخيا.

والحق سبحانه وتعالى لا يوصف بالسخاء؛ لأنه السخاء من نتيجة الغرائز، والله تعالى منزّه عن الغريزة.

والجود يتطرّق إليه الرياء، ويأتي به الإنسان متطلّعا إلى عوض من الخلق أو الحق بمقابل ما من الثناء وغيره من الخلق والثواب من الله تعالى.

والسخاء لا يتطرّق إليه الرياء؛ لأنه ينبع من النفس الزكية المرتفعة عن الأعواض دنيا وآخرة؛ لأن طلب العوض مشعرٌ بالبخل لكونه معلولاً بطلب العوض، فما تمحّض سخاء، فالسخاء لأهل الصفاء، والإيثار لأهل الأنوار.

ويجوز أن يكون قوله تعالى: ﴿إِنمَا نُطْعِمكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لاَ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُورًا﴾[1] أنه نفى فى الآية الإطعام لطلب الأعواض حيث قال: ﴿لا نريد﴾ بعد قوله: ﴿لوجه الله﴾ فما كان لله لا يشعر بطلب العوض، بل الغريزة لطهارتها تنجذب إلى مراد الحق لا لعوض، وذلك أكمل السخاء من أطهر الغرائز.

روت أسماء بنت أبى بكر قالت : قلت يا رسول اللَّه ، ليس لى من شىء إلاّ ما أدخل علىّ الزبير أفأعطى ؟ قال : « نعم لا تُوكى[2] فيوكى عليك » .

ومن أخلاق الصوفية : التجاوز ، والعفو ، ومقابلة السيئة بالحسنة ، قال سفيان : الإحسان : أن تحسن إلى من أساء إليك ؛ فإن الإحسان إلى المحسن متاجرة ، كنقد السوق : خذ شيئًا وهات شيئًا .

وقال الحسن : الإحسان : أن تعمَّ ولا تخصّ : كالشمس ، والريح والغيث .

وروى أنس قال : قال رسول اللَّه ﷺ : (رأيت قصورًا مشرفة على الجنة ، فقلت : يا جبريل لمن هذه ؟ قال : ﴿للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾ .

روى أبو هريرة رضى اللَّه تعالى عنه : أن أبا بكر رضى اللَّه عنه كان مع النبى ﷺ فى مجلس فجاء رجل فوقع[3] فى أبى بكر وهو ساكت ، والنبى ﷺ يبتسم ، ثم ردّ أبو بكر عليه بعض الذى قال ، فغضب النبى ﷺ وقام فلحقه أبو بكر ، فقال : يا رسول اللَّه ،

---

(١) آية رقم ٩ سورة الإنسان.

(٢) لا توكى : لا تبخلى أو تنشددى .

(٣) عابه وشتمه .

شتمنى وأنت تبتسم ثم رددت عليه بعض ما قال فغضبت وقمت ، فقال : (إنك حيث كنت ساكتًا كان معك ملك يردّ عليه ، فلما تكلمت وقع الشيطان فلم أكن لأقعد فى مقعد فيه الشيطان ، يا أبا بكر ، ثلاث كلّهن حقّ : ليس عبد يظلم بمظلمة فيعفو عنها إلا أعزّ اللهُ نصره ، وليس عبد يفتح باب مسألة يريد بها كثرةً إلا زاده الله قلّة ، وليس عبد يفتح باب عطية أو صلة يبتغى بها وجه اللّه إلا زاده اللّه بها كثرة)[١] .

أخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب بن على قال : أخبرنى الكرخى قال : أخبرنا الترياقى قال : أخبرنا الجراحى قال : أخبرنا المحبوبى قال : أخبرنا أبو عيسى الترمذى قال : حدثنا أبو هشام الرقاعى قال : حدثنا محمد بن فضيل عن الوليد بن عبداللّه بن جميع ، عن أبى الطفيل ، عن حذيفة ، قال : رسول اللّه ﷺ: «لا تكونوا إمَّعة تقولون : إن أحسن الناس أحسنَّا ، وإن ظلموا ظلمنا ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا»[٢] .

وقال بعض الصحابة : يا رسول اللّه ، الرجل أمرٌ به فلا يُقْرينى ، ولا يضيفنى ، فيمرّ بلا ، أفأجزيه ؟ قال : (لا ، أقْره) .

وقال الفضيل : الفتوَّةُ : الصفح عن عثرات الإخوان . وقال رسول اللّه ﷺ: «ليس الواصلُ المكافىء ، ولكنَّ الواصل الذى إذا قطعتْ رحمَه وصلها»[٣] .

وروى عن رسول اللّه ﷺ : «من مكارم الأخلاق : أن تعفو عمن ظلمك ، وتصل من قطعك ، وتعطى من حرمك»[٤] .

ومن أخلاق الصوفية : البشر ، وطلاقة الوجه ، الصوفىّ بكاؤه فى خلوته ، وبشرُه وطلاقةُ وجهه مع الناس ؛ فالبشر على وجهه من آثار أنوار قلبه . وقد تنازل باطنَ الصوفىّ منازلاتُ إلَهيةٌ ومواهبُ قدسيّة يرتوى منها القلب ويمتلىء فرحًا وسرورا ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾[٥] والسرور إذا تمكنّ من القلب فاض على الوجه

---

(١) رواه أبو داود مختصرًا مرسلاً ومتصلاً وذكر البخارى أن المرسل أصح .

(٢) رواه الترمذى فى كتاب البر .

(٣) رواه أحمد والبخارى وأبو داود والترمذى عن ابن عمرو .

(٤) رواه الحاكم فى تاريخه عن أنس .

(٥) آية رقم ٥٨ من سورة يونس .

آثارُه قال اللّه تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ﴾[١] أى : مضيئة مشرقة ﴿ضاحكة مستبشرة﴾[٢] أى : فرحة . قيل : أشرفت من طول ما اغبرَّت فى سبيل اللّه ..

ومثالُ فيض النور على الوجه من القلب كفيضان نور السراج على الزجاج والمشكاة ؛ فالوجه مشكاة ، والقلب زجاج ، والروح مصباح ، فإذا تنعّم القلب بلذيذ المسامرة ظهر البشر على الوجه قال اللّه تعالى : ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾[٣] : نضارته وبريقه ، يقال : انظر النبات إذا أزهر ونوّر : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[٤] فلما نظرت نضرت ؛ فأرباب المشاهدة من الصوفية تنوّرت بصائرهم بنور المشاهدة ، وانصقلت مرآة قلوبهم وانعكس فيها نور الجمال الأزلىّ ، وإذا أشرقت الشمس على المرآة المصقولة استنارت الجدران ، قال اللّه تعالى : ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[٥]، وإذا تأثر الوجه بسجود الظلال ، وهى القوالب فى قول اللّه تعالى : ﴿وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾[٦] كيف لا يتأثر بشهود الجمال ؟

أخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب بن على ؛ أخبرنا الكرخى قال : أخبرنا الترياقى ، قال : أخبرنا الجراحى قال : أخبرنا المحبوبى قال : أخبرنا أبو عيسى الترمذى قال : حدثنا قتيبة قال : حدثنا المنكدر بن محمد بن المنكدر ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد اللّه قال : قال رسول اللّه ﷺ : «كل معروف صدقة ، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه مطلق ، وأن تُفْرِغ من دلوك فى إناء أخيك»[٧] .

وقال سعد بن عبد الرحمن الزبيدى : يعجبنى من القراء كلُّ سهل طلق مضحاك ، فأما من تلقاه بالبشر ويلقاك بالعبوس كأنه يمنّ عليك ، فلا أكثر اللّه فى القرّاء مثلَه .

ومن أخلاق الصوفية : السهولة ، ولين الجانب ، والنزول مع الناس إلى أخلاقهم وطباعهم ، وترك التعسّف والتكلّف ، وقد رُوى فى ذلك عن رسول اللّه ﷺ أخبارٌ .

---

(١) من سورة عبس الآية ٣٨ .

(٢) من سورة عبس الآية ٣٩ .

(٣) آية رقم ٢٤ من سورة المطففين .

(٤) آية رقم ٢٢ من سورة القيامة .

(٥) آية رقم ٢٩ من سورة الفتح .

(٦) آية رقم ١٥ من سورة الرعد .

(٧) رواه أحمد والترمذى والحاكم .

وأخلاق الصوفية تحاكى أخلاق رسول اللّه ﷺ ، وكان يقول ﷺ : (أما إنّى أمزح ولا أقول إلاّ حقًا)[١] .

روى أن رجلاً يقل له (زاهر بن حرام) وكان بدويًا ، وكان لا يأتى إلى رسول اللّه ﷺ إلاّ جاء بطُرفة يهديها إلى رسول اللّه ﷺ فجاء يومًا من الأيام فوجده رسول اللّه ﷺ فى سوق المدينة يبيع سلعة له ، ولم يكن أتاه ذلك اليوم، فاحتضنه النبىُّ ﷺ من ورائه بكفيه، فالتفت فأبصر النبىّ ﷺ ، فقبّل كفيه ، فقال النبىّ ﷺ : (من يشترى العبد ؟ فقال : إذن تجدنى كاسدًا يا رسول اللّه ؟ فقال : (ولكن عبد اللّه ربيح) ثم قال ﷺ «لكل أهل حضرٍ باديةٌ ، وباديةُ آل محمد زاهر بن حرام»[٢] .

وأخبرنا أبو زرعة طاهر بن الحافظ المقدسى ، عن أبيه ، قال : أخبرنا المظهر بن محمد الفقيه، أخبرنا أبو الحسن قال : أخبرنا أبو عمرو بن حكيم قال : أخبرنا أبو أمية قال : حدثنا عبيد بن إسحق العطار قال: حدثنا سنان بن هارون، عن حميد، عن أنس، قال : جاء رجل إلى رسول اللّه ﷺ فقال : يا رسول اللّه ، احملنى على جمل ، فقال : (أحملك على ابن الناقة) قال : أقول لك احملنى على جمل وتقول أحملك على ابن ناقة ؟ فقال ﷺ (فالجمل ابن الناقة)[٣] .

وروى صهيب قال : أتينا رسول اللّه ﷺ وبين يديه تمر يأكل فقال : (أصب من هذا الطعام) فجعلت آكل من التمر فقال : (أتأكل وأنت رمد ؟) فقلت : إذن أمضغ من الجانب الآخر ، فضحك رسول اللّه ﷺ .

وروى أنس : أن رسول اللّه ﷺ قال له ذات يوم : (يا ذا الأذنين)[٤] .

وسئلت عائشة رضى اللّه عنها : كيف كان رسول اللّه ﷺ إذا خلا فى البيت ؟ قالت : كان ألْيَن الناس ، بسّامًا ضحّاكًا .

وروت أيضًا أن رسول اللّه ﷺ سابقها فسبقته ، ثم سابقها بعد ذلك فسبقها ، فقال : (هذه بتلك) .

---

(١) رواه الطبرانى عن ابن عمر والخطيب عن أنس ورمز السيوطى لحسنه .

(٢) راجع أسد الغابة فى ترجمة زاهر بن حرام فقد ذكر هذه القصة .

(٣) أحمد وأبو داود والترمذى .

(٤) أحمد ،ابو داود والترمذى عن أنس .

وأخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن على قال : أخبرنا أبو الفتح الهروى قال : أخبرنا أبو نصر التريـاقىّ قـال : أخبرنـا أبـو محمـد الجراحـى قـال : أخبرنـا أبو العباس المحبوبى قال : أخبرنا أبو عيسى الحافظ الترمذى قال : حدثنا عبد الله بن الوضاح الكوفى قال : حدثنا عبد الله بن أبى التياح عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : كان رسول الله ﷺ ليخاطبنا حتى إنه كان يقول لأخ له صغير : (يا أبا عمير ، ما فعـل النغير ؟)[1] .

والنغير : عصفور صغير .

وروى أن عمر سابق زبيرًا ، رضى الله عنهما ، فسبقه الزبير فقال : سبقتك وربّ الكعبة ، ثم سابقه مرّة أخرى فسبقه عمر ، فقال عمر : سبقتك وربّ الكعبة .

وروى عبد الله بن عباس قلا : قال لى عمر : تعال أنافسك فى الماء أيّنا أطول نَفَسًـا ، ونحن مُحرِمون .

وروى بكر بن عبد الله قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ يتمازحون حتـى يتبـادحون بالبطيخ ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال .

يقال : بَدَحَ بيدح : إذا رمى ، أى : يترامون بالبطيخ .

وأخبرنا أبو زرعة ، عن أبيه ، قال : أخبرنا الحسن بن أحمد الكرخى ، قـال : حدثنـا أبوطالب محمد بن محمد بن إبراهيم قال : حدثنا أبوبكر محمـد بـن محمـد بـن عبدالله قال : حدثنى إسحق الحربى ، قال : حدثنا أبوسلمة قال : حدثنا حماد بن خـالد ، أخبرنـا محمد عمرو بن علقمـة ، قـال : حدثنـا أبوالحسـن بـن محيـض الليثـى ، عـن يحيـى بـن عبدالرحمن بن حاطب بن أبى بلتعة قال : إن عائشة رضى اللـه عنـها قـالت : (أتيـت النبى ﷺ بـ(حريرة) طبختها له ، وقلت لسودة والنبى ﷺ بينـى وبينـها : كُلى . فـأبت ، فقلت لها : كلى . فأبت ، فقلت : لتأكلنّ ، أو لألطخنّ بها وجهك ، فأبت . فوضعت يـدى على الحريرة فلطخّت بها وجهها ، فضحك النبى ﷺ ، فمرّ عمر ، رضى الله تعـالى عنـه ، على الباب فنـادى : يـا عبدالله ، فظـنّ النبـى ﷺ أنـه سـيدخل ، فقـال : (قُومـا فاغسـلا وجهيكما) ، فقالت عائشة رضى الله عنها : فما زلت أهاب عمر لهيبة رسول الله ﷺ إيّاه .

ووصف بعضهم ابن طاووس فقال : كان مع الصبى صبيًّا ، ومع الكهل كهلاً ، وكـان فيه مزاحة إذا خلا .

---

(١) أحمد والبخارى والترمذى والنسائى وابن ماجة عن أنس .

وروى معاوية بن عبد الكريم قال : كنا نتذاكر الشعر عند محمد بن سيرين ، وكان يقول ونمزح عنده ، ويمازحنا ، وكنا نخرج من عنده ونحن نضحك ، وكنا إذا دخلنا على الحسن نخرج من عنده ونحن نكاد نبكى .

فهذه الأخبار ، والآثار ، دالّةٌ عل حسن لين الجانب وصحة حال الصوفية ، وحسن أخلاقهم فيما يعتمدونه من المداعبة فى الرُّبط ، وينزلون مع الناس على حسب طباعهم لنظرهم إلى سعة رحمة الله .

فإذا خلوا وقفوا موقف الرجال ، واكتسوا ملابس الأعمال والأحوال ، ولا يقف فى هذا المعنى على حدّ الاعتدال إلاّ صوفىٌّ قاهرٌ للنفس ، عالم بأخلاقها وطباعها ؛ سائسٌ لها بوفور العلم ، حتى يقف فى ذلك صراط الاعتدال بين الإفراط والتفريط ، ولا يصلح الإكثار من ذلك للمريدين المبتدئين ؛ لقلّة علمهم ومعرفتِهم بالنفس وتعدّيهم حدّ الاعتدال ؛ فللنفس فى هذه المواطن نهضات ووثبات تجرّ إلى الفساد وتجنح إلى العناد ، فالنزول إلى طباع الناس يحسن بمن صعد عنهم وترقّى لعلو حاله ومقامه ، فينزل إليهم وإلى طباعهم حين ينزل بالعلم .

فأمّا من لم يصعد بصفاء حاله عنهم ، وفيه بقية مزح من طباعهم ونفوسهم الجامحة الأمّارة بالسوء ، إذا دخلت فى هذه المداخل أخذت النفس حظّها ، واغتنمت مآربها ، واستروحت إلى الرخصة . والنزول إلى الرخصة يحسن لمن يركب العزيمة غالب أوقاته ، وليس ذلك شأن المبتدئ ؛ فللصوفية العلماء – فيما ذكرناه – ترويح يعلمون حاجة القلب إلى ذلك . والشىء إذا وضع للحاجة يتقدّر بقدر الحاجة ، ومعيار مقدار الحاجة فى ذلك علم غامض لا يسلم لكلّ أحد .

قال (سعيد بن العاص) لأبنه : اقتصد فى مزاحك ؛ فالإفراط فيه يذهب بالبهاء ، ويجرّئ عليك السفهاء ، وتركه يغيظ المؤانسين ، ويوحش المخالطين .

قال بعضهم : المزاح مسلبة البهاء ، مقطعة للإخاء .

وكما يصعب معرفة الاعتدال فى ذلك يصعب معرفة الاعتدال فى الضحك ، والضحك من خصائص الإنسان ، ويميّزه عن جنس الحيوان. ولا يكون الضحك إلاّ عن سابقة تعجّب. والتعجب يستدعى الفكر. والفكر شرف الإنسان وخاصيته، ومعرفة الاعتدال فيه أيضًا شأن من ترسخ قدمه فى العلم. ولهذا قيل: إياك وكثرة الضحك فإنها تميت القلب.

وقيل : كثرة الضحك من الرعونة .

وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال : (إن اللّه تعالى يبغض الضحّاك من غير عجب ، والمشّاء فى غير أرب) .

وذُكر فرق بين المداعبة والمزاح ، فقيل : المداعبة ما لا يغضب جدّه ، والمزاح ما يُغضب جدّه .

وقد جعل أبو ضيفة ، رحمه الله ، القهقهة فى الصلاة من الذنب . وحَكَم ببطلان الوضوء بها ، وقال : يقوم الإثم مقام خروج الخارج .

فالاعتدال فى المزاح والضحك لا يتأتى إلا إذا خلص وخرج من مضيق الخوف والقبض والهيبة ؛ فإنه يتقوم بكل مضيق من هذه المضايق بعض التقويم ، فيعتدل الحال فيه ويستقيم ، فالبسط والرجاء ينشئان المزاحَ والضحكَ ، والخوفُ والقبضُ يحكمان فيه بالعدل .

ومن أخلاق الصوفية : ترك التكلفَ ؛ وذلك أن التكلّف تصنّع وتعمّل وتمايل على النفس لأجل الناس ، وذلك يباين حال الصوفية وفى بعضه خَفَىٌّ منازعةٍ للأقدار ، وعدم الرضا بما قسم الجبّار .

ويقال : التصوف ترك التكلّف ، ويقال : التكلّف تخلّف ، وهو تخلّف عن شأو الصادقين .

روى أنس بن مالك قال : شهدت وليمة لرسول اللّه ﷺ ما فيها خبزٌ ولا لحم .

وروى عن جابر : أنه أتاه ناس من أصحابه فأتاهم بخبز وخلّ وقال : كلوا فإنى سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «نعم الإدامُ الخل» .

وعن سفيان بن سلمة قال : دخلت على (سلمان الفارسىّ) فأخرج إلىّ خبزًا وملحًا وقال : كل ، لولا أن رسول اللّه ﷺ نهانا أن يتكلّف أحدٌ لأحد لتكلّفت لك .

والتكلف مذموم فى جميع الأشياء ؛ كالتكلّف بالملبوس للناس من غير نية فيه ، والتكلّف فى الكلام ، وزيادة التملّق الذى صار دأب أهل الزمان ، فما يكاد يسلم من ذلك إلاّ آحاد وأفراد . وكم من متملق لا يعرف أنه تملق ولا يفطن له ؛ فقد يتملق الشخص إلى حدّ يخرجه إلى صريح لنفاق ، وهو مباينٌ لحال الصوفىّ .

أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن على ، قال : أخبرنا أبو الفتح الهروى ، قال : أخبرنا أبو نصر الترياقى قال : أخبرنا أبو محمد الجراحى ، قال :

أخبرنا أبو العباس المحبوبى قال: أخبرنا أبو عيسى الترمذى قال: حدثنا أحمد بن منيع قال: حدثنا يزيد بن هارون، عن محمد بن مطرف ، عن حسان بن عطية، عن أبى أمامة عن النبى اللّه ﷺ قال: «الحياء والعىّ شعبتان من الإيمان، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق»[١].

البذا : الفحش . وأراد بالبيان هنا : كثرة الكلام والتكلّف للناس بزيادة تملّق وثناءٍ عليهم وإظهار التفصّح ، وذلك ليس من شأن أهل الصدق .

وحكى عن أبى وائل قال : مضيت مع صاحب لى نزور سلمان ، فقدّم إلينا خبز شعير ، وملحًا جريشًا ، فقال صاحبى : لو كان فى هذا الملح (سعتر)[٢] كان أطيب . فخرج سلمان ورهن مطهرته وأخذ سعترًا . فلما أكنا قال صاحبى : الحمد لله الذى قنعنا بما رزقنا ، فقال سلمان : لو قنعت بما رزقك لم تكن مطهرتى مرهونة ، وفى هذا من سلمان : ترك التكلّف قولاً وفعلاً .

وفى حديث يونس النبى عليه السلام : أنه زاره أخوانُه فقدّم إليهم كسرًا من خبز شعير ، وحزّ لهم بقلاً كان يزرعه ثم قال : لولا أن الله لعن المتكلّفين لتكلّفت لكم .

قال بعضهم : إذا قُصدت للزيارة فقدّم ما حضر ، وإذا استزرت فلا تُبقى ولا تَذر .

وروى الزبير بن العوام قال : نادى منادى رسول اللّه ﷺ يومًا (اللهم اغفر للذين يدعون لأموات أمتى ولا يتكلفون ، ألا إنى برىء من التكلف ، وصالحوا أمتىّ)[٣] .

وروى أن عمر ﷺ قرأ قوله تعالى : ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾[٤] . ثم قال ﷺ: هذا كلّه قد عرفناه ، فما الأبّ ؟ قال : وبيد عمر عصاة فضرب بها الأرض ثم قال: هذا لعمر الله هو التكلّف ، فخذوا أيها الناس ما بُيّن لكم منه فما عرفتم اعملوا به ، وما لم تعرفوا فكِلوا علمه إلى اللّه .

ومن أخلاق الصوفية : الإنفاق من غير إقتار ، وتركُ الادخار ؛ وذلك أن الصوفى يرى خزائن فضل الحق ، فهو بمثابة من هو مقيم على شاطىء بحر ، والمقيم على شاطئ البحر لا يدخّر الماء فى قِربته وراويته[٥] .

---

(١) رواه أحمد والترمذى والحاكم .

(٢) نبات طيب الرائحة .

(٣) روى البخارى عن عمر قال : نهينا عن التكلف .

(٤) الآيات من سورة عبس من ٢٧ – ٣١ .

(٥) الرواية الدابة التى تحمل الماء : جاء فى المصباح المنير : روى البعير الماء : حمله ، فهو راوية الهاء فيه للمبالغة ، ثم أطلقت الراوية على كل دابة يستقى الماء عليها .

روى أبو هريرة عن رسول اللّه ﷺ أنه قال : «ما من يوم إلا له ملكان يناديان اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكًا تلفا»[١] .

روى أنس قال : كان رسول اللّه ﷺ لا يدّخر شيئًا لغد .

وروى أنه أهدى لرسول اللّه ﷺ ثلاث (طوائر) فأطعم خادمه طيرًا ، فلما كان الغد أتاه به فقال رسول اللّه ﷺ: (ألم أنهك أن تخبأ شيئًا لغد فإن الله تعالى يأتى برزق كلّ غد)[٢].

وروى أبو هريرة رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ دخل على بلال وعنده «صبرة»[٣] من تمر، فقال: ما هذا يا بلال؟ فقال: دخر يا رسول الله. قال: «أما تخشى، أنفق بلالاً، ولا تخش من ذى العرش إقلالاً»[٤].

وروى أن عيسى بن مريم، عليه السلام، كان يأكل الشجر، ويلبس الشعر، ويبيت حيث أمسى، ولم يكن له ولد يموت، ولا بيت يخرب، ولا يخبئ شيئًا لغد.

فالصوفىُّ كلّ خباياه فى خزائن الله؛ لصدق توكّله، وثقته بربّه، فالدنيا للصوفى كدار الغربة: ليس له فيها ادّخار، ولا له منها استكثار. قال عليه الصلاة والسلام: «لو توكلتم على الله حقّ توكّله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا»[٥].

أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب، قال: أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن أبى عبد الله الماليني، قال: أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن الداودى، قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله السرخسى، قال: أخبرنا عبد الله بن الرحمن الداوودى قال: أخبرنا محمد بن يوسف عن سفيان، عن ابن المنكدر، عن جابر قال: (ما سئل النبىﷺ شيئًا قط فقال لا) قال ابن عيينة: إذا لم يكن عنده وعد[٦].

وبالإسناد عن الدارمى قال: أخبرنا يعقوب بن حميد قال: أخبرنا عبد العزيز بن محمد، عن ابن أخي الزهرى قال: إن جبريل عليه السلام قال: ما فى الأرض أهل عشيرة من أبيات إلاّ قلّبتهم؛ فما وجدت أحدًا أشد إنفاقًا لهذا المال من رسول الله ﷺ .

---

(١) متفق عليه .

(٢) روى الترمذى عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يدخر شيئًا لغد وصححه السيوطى .

(٣) الصبرة: بضم الصاد: ما جمع من الطعام بلا كيل ولا وزن، يقال أخذه صُبرة أى جملة.

(٤) رواه البزار والطبرانى ورمز السيوطى لحسنه.

(٥) رواه الترمذى وقال حديث حسن.

(٦) روى الحاكم عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يسأل شيئًا إلا أعطاه أو سكت.

ومن أخلاق الصوفية: القناعة باليسير من الدنيا. قال ذو النون المصرى: مَن قنع استراح من أهل زمانه واستطال على أقرانه.

وقال بشر بن الحارث: لو لم يكن فى القناعة إلاّ التمتع بالعزّ لكفى صاحبه.

وقال بنان الحمال:

الحرّ عبدٌ ما طمع والعبد حر ما قنع

وقال بعضهم: انتقم مِن حرصك بالقناعة كما تنتقم من عدوّك بالقصاص.

وقال أبو بكر المراغى: العاقل: مَن دبّر أمر الدنيا بالقناعة والتسويف، ودبّر أمر الآخرة بالحرص والتعجيل.

وقال يحيى بن معاذ: مَن قنع بالرزق فقد ذهب بالآخرة، وطاب عيشه.

وقال أمير المؤمنين على بن أبى طالب، كرّم الله وجهه،: القناعة سيف لا ينبو.

أخبرنا أبو زرعة، عن أبيه أبى الفضل قال: أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن الحسن الخلال ببغداد قال: أخبرنا أبو حفص عمر بن إبراهيم قال: حدثنا أبو القاسم البغوى قال: حدثنا محمد بن عباد قال: حدثنا أبو سعيد، عن صدقة بن الربيع، عن عمارة بن غرية عن عبد الرحمن بن أبى سعيد، عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على الأعواد[1] يقول: «ما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى»[2].

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال «قد أفلح من أسلم، وكان رزقه كفافًا ثم صبر عليه»[3] روى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ دعا وقال: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا».

وروى جابر رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «القناعة مال لا ينفد»[4].

وروى عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه قال: «كونوا أوعية الكتاب، وينابيع الحكمة، وعدوا أنفسكم فى الموتى، واسألوا الله تعالى الرزق يومًا بيوم، ولا يضركم أن لا يكثر لكم».

---

(١) المنابر.

(٢) أخرجه أبو يعلى، والضياء فى المختارة عن أبى سعيد وقال السيوطى حديث صحيح.

(٣) رواه أحمد ومسلم والترمذى وابن ماجه.

(٤) رواه القضاعى عن أنس بسند ضعيف.

وأخبرنا أبو زرعة طاهر، عن أبى الفضل والده قال: أخبرنا أبو القاسم إسماعيل بن عبد الله الشاوى قال: أخبرنا أحمد بن على الحافظ قال: أخبرنا أبو عمرو بن حمدان قال: حدثنا الحسن بن سفيان قال: حدثنا عمرو بن مالك البصرى قال: حدثنا مروان بن معاوية قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبى سلمة الأنصارى، قال: أخبرنى سلمة بن عبد الله بن محض عن أبيه قال:

قال رسول الله ﷺ: «من أصبح آمنًا فى سربه معافىً فى بدنه عنده قوت يومه فكأنما خيرت له الدنيا»[1].

وقيل فى تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾[2] هى القناعة.

فالصوفىّ قوّام على نفسه بالقسط، عالم بطبائع النفس وجدوى القناعة والتواصل إلى استخراج ذلك من النفس؛ لعلمه بدائها ودوائها.

وقال أبو سليمان الدارانى: القناعة من الرضا، كما أنّ الورع من الزهد.

ومن أخلاق الصوفية: ترك المراء[3] والمجادلة والغضب إلاّ بحق، واعتماد الرفق والحلم؛ وذلك أن النفوس تثبت وتظهر فى المارين.

والصوفى كلّما رأى نفس صاحبه ظاهرة قابلها بالقلب، وإذا قوبلت النفس بالقلب ذهبت الوحشة وانطفأت الفتنة.

قال الله تعالى تعليمًا لعباده: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[4].

ولا يُنزع المراء إلاّ من نفوس زكيه انتزع منها الغلّ، ووجود الغلّ فى النفوس مراء الباطن، وإذا انتزع المراء من الباطن ذهب من الظاهر أيضًا؛ وقد يكون الغلّ فى النفس مع من يشاكله ويماثله لوجود المنافسة.

ومن استقصى فى تذويب النفس بنار الزهادة فى الدنيا ينمحى الغلّ من باطنه، ولا تبقى عنده منافسة دنيوية فى حظوظ عاجلة من جاه ومال، قال الله تعالى فى وصف أهل الجنّة المتقين: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾[5].

---

(١) رواه البخارى فى الأدب والترمذى وابن ماجه.

(٢) آية ٩٧ سورة النحل.

(٣) المراء: المماراة والجدل.

(٤) آية رقم ٣٤ سورة فصلت.

(٥) آية رقم ٤٣ الأعراف.

قال أبو حفص: كيف يبقى الغلّ فى قلوب ائتلفت بالله واتفقت على محبّته، واجتمعت على مودّته، وأنست بذكره؛ فإن تلك قلوب صافية من هواجس النفوس وظلمات الطبائع، بل كحلت بنور التوفيق فصارت إخوانًا؛ فهكذا قلوب أهل التصوف والمجتمعين على الكلمة الواحدة، ومن التزم بشروط الطريق، والانكباب على الظفر بالتحقيق.

والناس رجلان: رجل طالب ما عند الله تعالى، ويدعو إلى ما عند الله نفسَه وغيرَه، فما للمحقق الصوفى مع هذا منافسة ومراء وغلّ، فإن هذا معه فى طريق واحد ووجهةٍ واحدة، وأخوه ومعينه، والمؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضًا.

ورجلٌ مفتتنٌ بشىء من محبة الجاه والمال والرياسة ونظر الخلق، فما للصوفى مع هذا منافسة؛ لأنه زهد فيما فيه رغب، فمن شأن الصوفى أن ينظر إلى مثل هذا نظر رحمة وشفقة حيث يراه محجوبًا مفتتنًا؛ فلا ينطوى له على غلّ، ولا يماريه فى الظاهر على شىء؛ لعلمه بظهور نفسه الأمّارة بالسوء فى المراء والمجادلة.

أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن على قال: أخبرنا أبو الفتح الهروى قال: أخبرنا أبو نصر التياقى قال: أخبرنا أبو محمد الجراحى قال: أخبرنا أبو العباس المحبوبى قال: أخبرنا أبو عيسى الترمذى قال: حدثنا زياد بن أيوب قال: حدثنا المحاربى، عن ليث، عن عبد الملك، عن عكرمة، عن ابن عباس رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ قال: «ولا تمار أخاك، ولا تعده موعدًا فتخلفه».

وفى الخبر: «من ترك المراء، وهو مبطل، بُنى له بيت فى ربض الجنة، ومن ترك المراء، وهو محق، بنى له فى وسطها، ومن حسن خلقه بنى له فى أعلاه».

وأخبرنا شيخ الإسلام أبو النجيب قال: أخبرنا أبو عبد الرحمن السهروردى محمد بن أبى عبد الله المالينى قال: أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن الدواودى قال: أخبرنا أبومحمد عبد الله بن أحمد الحموى قال: أخبرنا أبو عمران عيسى السمرقندى قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى قال: حدثنا يحيى بن بسطام، عن يحيى بن حمزة قال: حدثنا النعمان بن مكحول، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من طلب العلم ليباهى به العلماء أو يمارى به السفهاء، أو يريد أن يقبل بوجوه الناس إليه أدخله الله تعالى جهنم».

انظر كيف جعل رسول الله ﷺ المماراة مع السفهاء سببًا لدخول النار؛ وذلك بظهور نفوسهم فى طلب القهر والغلبة، والقهرُ والغلبةُ من صفات الشيطنة فى الآدمى.

قال بعضهم: المجادلُ المارى يضع فى نفسه عند الخوض فى الجدال: أن لا يقنع بشىء، ومن لا يقنع إلاّ أن لا يُقنع فما إلى إقناعه سبيل.

فنفس الصوفى تبدّلت صفاتها وذهب عنه صفة: الشيطنة والسبعية، وتَبدّل باللين، والرفق، والسهولة، والطمأنينة.

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «والذى نفسى بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه»[1].

انظر كيف جعل النبى ﷺ من شرط الإسلام: سلامةُ القلب واللسان.

وروى عنه، عليه الصلاة والسلام، أنه مرّ بقوم وهم يحدون[2] حجرًا قال: «ما هذا؟ قالوا: هذا حجر الأشداء، قال: ألا أخبركم بأشدّ من هذا؟ رجل كان بينه وبين أخيه غضب، فأتاه، فغلب شيطانه وشيطان أخيه فكلمه».

وروى أنه جاء غلام لأبى ذرّ، وقد كسر رجلَ شاة، فقال أبو ذرّ: مَن كسر رجل هذه الشاة؟. فقال: أنا. قال ولِمَ فعلت ذلك؟ قال: عمدًا فعلتُ. قال: ولَم؟ قال: أغيظك فتضربنى فتأثم. فقال أبو ذرّ: لأغيظنَّ مَن حضَّك على غيظى. فأعتقه؟

وروى الأصمعى، عن أعرابى، قال: إذ أشكل عليك أمران لا تدرى أيُّهما أرشد، فخالف أقربهما إلى هواك؛ فإن أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى.

أخبرنا أبو زرعة، عن أبيه، أبى الفضل قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن على قال: أخبرنا خورشيد قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سليم قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثنا سعيد بن سعد، عن أخيه، عن جدّه، عن أبى هريرة رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال:

«وثلاث منجيات، وثلاث مهلكات؛ فأما المنجيات: فخشية الله فى السرّ والعلانية، والحكم بالحق عند الغضب والرضا والاقتصاد عند الفقر والغنى، وأما المهلكات: فشحّ مطاع، وهوى متّبع، وإعجاب المرء بنفسه».

---

(١) البوائق جمع بائقة: وهى الشر والداهية.

(٢) يجعلون للحجر حدودًا.

فالحكم بالحق عند الغضب والرضا لا يصحّ إلاّ من عالم ربّانىّ، أمير على نفسه، يصرّفها بعقل حاضر، وقلب يقظان، ونظر إلى الله بحسن الاحتساب نقلّ أنهم كانوا يتوضئون عن[1] إيذاء المسلم، يقول بعضهم: لأن أتوضأ من كلمة خبيثة أحبُّ إلىّ من أن أتوضّأ من طعام طيّب.

وقال عبد الله بن عباس، رضى الله عنهما، : الحَدَثُ حدثان: حدث من فرجك، وحدث من فيك، فلا يحل حبوة[2] الوقار والحلم إلا الغضبُ، ويُخرج عن حدّ العدل إلى العدوان بتجاوز الحدّ، فبالغضب يثور دم القلب، فإن كان الغضب على من فوقه مما يعجز عن إنفاذ الغضب فيه ذهب الدم من ظاهر الجلد واجتمع فى القلب، ويصير منه الهمُّ، والحزنُ، والانكماد، ولا ينطوى الصوفىّ على مثل هذا؛ لأنه يرى الحوادث والأعراض من الله تعالى فلا ينكمد ولا يغتم. والصوفىّ صاحب الرضا، صاحب الروح والراحة. والنبى عليه الصلاة والسلام أخبر أن الهمّ والحزن فى الشكّ والسخط.

سئل عبد الله بن عباس، رضى الله عنهما، عن الغمّ والغضب قال: مخرجهما واحدٌ، واللفظ يختلف؛ فمن نازع من يقوى عليه أظهره غضبًا، ومن نازع من لا يقوى عليه كتمه حزنًا.

والحَرَدُ: غضب أيضًا، ولكن يستعمل إذا قصد المغضوب عليه.

وإن كان الغضب على مَن يشاكله ويماثله ممن يتردد فى الانتقام منه يتردد القلب بين الانقباض والانبساط، فيتولّد منه الغلّ والحقد، ولا يأوى مثل هذا إلى قلب الصوفىّ، قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورهِمْ مِنْ غلٍّ﴾[3] وسلامةُ قلب الصوفى وحاله يَقْذف زبدَ الغلّ والحقدِ كما يَقذف البحرُ الزَبدَ؛ لِما فيه من تلاطم أمواج الأنس والهيبة، وإن كان الغضبُ على من دونه ممن يقدر على الانتقام منه ثار دم القلب، والقلبُ إذ ثار دمه يحمرّ ويقسو، ويتصلّب، وتذهب عنه الرقة والبياض، ومنه تحمر الوجنتان؛ لأن الدم فى القلب ثار وطلب الاستعلاء وانتفخت منه العروق، فظهر عكسه وأثره على الخد، فيتعدى الحدود حينئذ بالضرب والشتم، ولا يكون هذا فى الصوفىّ إلا عند هتك الحرمات والغضب

---

(١) هكذا فى الأصل ولعلها يتوضئون عند إيذاء المسلم أو يتوضئون: يبتعدون ويمتنعون.

(٢) المراد هنا ضياع الوقار وذهاب الحلم، وفى اللغة يقال أجبنى الرجل: ضمّ ظهره وساقيه بثوب أو غيره.

(٣) آية ٤٧ من سورة الحجر.

لله تعالى فأما فى غير ذلك فينظر الصوفىّ عند الغضب إلى الله تعالى، ثم تقواه تحمله على أن يزن حركته وقوله بميزان الشرع والعدل ويتهم النفس بعدم الرضا بالقضاء.

قيل لبعضهم: من أقهر الناس لنفسه؟. قال: أرضاهم بالمقدور.

وقال بعضهم: أصبحت ومالى سرور إلا مواقع القضاء.

وإذا اتّهم الصوفىّ النفسّ عند الغضب تداركه العلمُ، وإذا لاح عَلَم العِلم قوى القلب وسكنت النفس وعاد دم القلب إلى موضعه ومقرّه، واعتدل الحال وغاصت حمرة الخدّ، وبانت فضيلة العلم.

قال عليه الصلاة والسلام: «والسمت الحسن، والتؤدة، والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءًا من النبوّة».

وروى حارثة بن قدامة قال: قلت يا رسول الله أوصنى وأقلل؛ لعلّى أعيه. قال: «فأعاد عليه كل ذلك يقول لا تغضب، قال عليه السلام: إن الغضب جمرة من النار ألم تنظروا حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه من وجد ذلك منكم فإن كان قائمًا فليجلس وإن كان جالسًا فليضطجع».

أخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب بن على قال: أخبرنا أبو الفتح الهروى قال: أخبرنا أبو نصر التريافى قال: أخبرنا الجراحى قال: أخبرنا المحبوبى قال: أخبرنا أبو عيسى الترمذى قال: حدثنا محمد بن عبد الله قال: حدثنا بشر بن المفضل، عن قرة بن خالد، عن أبى حمزة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال لأشج عبد القيس: «إنّ فيك خصلتين يحبهما الله تعالى: الحِلم والأناة».

ومن أخلاق الصوفية: التودد والتآلف، والموافقة مع الإخوان، وترك المخالفة. قال الله تعالى فى وصف أصحاب رسول الله ﷺ: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[1] وقال الله تعالى: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأرض جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾[2] والتودد والتألف من ائتلاف الأرواح على ما ورد فى الخبر - الذى أوردناه - «فما تعارف منها ائتلف» قال الله تعالى: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[3] وقال سبحانه وتعالى:

---

(١) من آية ٢٩ من سورة محمد.

(٢) آية رقم ٦٣ من سورة الأنفال.

(٣) من سورة آل عمران.

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾[١] وقال عليه الصلاة والسلام «المؤمن ألف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»[٢] وقال عليه الصلاة والسلام: «مثل المؤمنين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى، وما التقى مؤمنان إلا استفاد أحدهما من صاحبه خيرًا»[٣].

وقال أبو إدريس الخولانى لمعاذ: إنّى أحبّك فى الله. فقال: أبْشر ثم أبشر؛ فإنّى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ينصب لطائفة من الناس كراسى حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر، يفزعُ الناس وهم لا يفزعون، ويخاف الناس وهم لا يخافون، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

قيل: من هؤلاء يا رسول الله؟ قال: المتحابون فى الله».

وقيل: لو تحابّ الناس وتعاطوا أسباب المحبّة لاستغنوا بها عن العدالة.

وقيل: العدالة خليفة المحبّة، تستعمل حيث لا توجد المحبّة.

وقيل: طاعة المحبة أفضل من طاعة الرهبة؛ فإن طاعة المحبة من داخل وطاعة الرهبة من خارج؛ ولهذا المعنى كانت صحبة الصوفية مؤثّرة من البعض فى البعض؛ لأنهم لما تحابوا فى الله تواصوا بمحاسن الأخلاق، ووقع القبول بينهم لوجود المحبة فانتفع لذلك المريد بالشيخ، ولأخ بالأخ ولهذا المعنى أمر الله تعالى باجتماع الناس فى كل يوم خمس مرات فى المساجد أهل كل درب وكل محلّة وفى الجامع فى الأسبوع مرّة أهل كل بلد، وانضمام أهل السواد إلى البلدان فى الأعياد فى جميع السنة مرتين، وأهل الأقطار من البلدان المتفرقة فى العمرة مرّة للحج: كل ذلك لحكم بالغة؛ منها: تأكيد الألفة والمودّة بين المؤمنين، قال عليه الصلاة والسلام: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»[٤] أخبرنا أبو زرعة قال: أخبرنا والدى أبو الفضل قال: أخبرنا أبو نصر محمد بن سلمان العدل قال: أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمس الزيادى قال: أخبرنا أبوالعباس عبد الله بن يعقوب الكرمانى قال: حدثنا يحيى الكرمانى قال: حدثنا حماد بن زيد، عن مجالد بن سعد عن الشعبى عن النعمان بن بشير قال سمعت

---

(١) آية ١٠٣ من سورة آل عمران.

(٢) متفق عليه

(٣) متفق عليه

(٤) متفق عليه.

رسول الله ﷺ يقول: «ألا إنَّ مَثَل المؤمنين فى توادّهم وتحابّهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى سائره بالسهر والحمى»[١].

والتآلف والتودد يؤكدان أسباب الصحبة، والصحبة مع الأخيار مؤثرة جدًا.

قد قيل: لقاء الإخوان لقاح، ولا شك أن البواطن تتلقح ويتقوّى البعض بالبعض، بل مجرّد النظر إلى أهل الصلاح يؤثر صلاحًا، والنظر فى الصور يؤثر أخلاقًا مناسبة لخلق المنظور إليه كدوام النظر إلى المحزون يُحزن، ودوام النظر إلى المسرور يُسر، وقد قيل: من لا ينفعك لحظه لا ينفعك لفظه، والجمل الشرود يصير ذلولاً بمقارنة الجمل الذلول؛ فالمقارنة لها تأثير فى الحيوان والنبات والجماد، والماءُ والهواءَ يفسدان بمقارنة الجيف، والزروع تُنقّى عن أنواع العروق فى الأرض والنبات لموضع الإفساد بالمقارنة، وإذا كانت المقارنة مؤثرة فى هذه الأشياء ففى النفوس الشريفة البشرية أكثر تأثيرًا، وسمّى الإنسان إنسانًا لأنه يأنس بما يراه من خير وشر. والتآلف والتودّد مستجلبٌ للمزيد، وإنما العزلة والوحدةُ تحمد بالنسبة إلى أراذل الناس وأهل الشر: فأما أهل العلم والصفاء والوفاء والأخلاق الحميدة فَيغْتَنم مقارنتهم والاستئناسُ بهم استئناس بالله تعالى، كما أنّ محبتهم محبة الله، والجامع رابطة الحق، ومع غيرهم رابطة الطبع؛ فالصوفىّ مع غير الجنس كائن بائن، ومع الجنس كائن مغابن[٢]، والمؤمن مرآة المؤمن إذا نظر إلى أخيه يستشف من وراء أقواله وأعماله وأحواله تجليات إلهية، وتعريفات وتلويحات من الله الكريم خفيّة، غابت عن الأغبار، وأدركها أهل الأنوار.

ومن أخلاق الصوفية: شكر المحسن على الإحسان والدعاء له، وذلك منهم مع كمال توكّلهم على ربهم وصفاء توحيدهم، وقطعهم النظر إلى الأغيار، ورؤيتهم النعم من المنعم الجبار، ولكن يفعلون ذلك اقتداءً برسول الله ﷺ، على ما ورد أن رسول الله ﷺ خطب فقال: «ما من الناس أحدُ أمنُّ علينا فى صحبته وذاتِ يوم يده من ابن أبى قحافة، ولو كنت متخذًا خليلاً لا تخذت أبا بكر خليلاً»[٣] وقال: «ما نفعنى مالٌ كمال أبى بكر»[٤] فالخلق حجبوا عن الله بالخلق فى المنع والعطاء.

فالصوفىّ فى الابتداء يفنى عن الخلق، ويرى الأشياء من الله حيث طالع ناصيتَه التوحيدُ وخرق الحجاب الذى منع الخلق عن صرف التوحيد، فلا يثبت للخلق منعًا

---

(١) متفق عليه.

(٢) ضعيف مغلوب.

(٣) رواه الترمذى.

(٤) رواه النسائى.

ولا عطاء، ويحجبه الحقّ عن الخلق، فإذا ارتقى إلى ذروة التوحيد يشكر الخلق بعد شكر الحق، ويثبت لهم وجودًا فى المنع والعطاء بعد أن يرى السبب أولاً ولذلك لسعة علمه وقوة معرفته، يثبت الوسائط، فلا يحجبه الخلق عن الحق كعامة المسلمين، ولا يحجبه الحق عن الخلق كأرباب الإرادة والمبتدئين؛ فيكون شكره للحق لأنه المنعم والمعطى والمسبّب، ويشكر الخلق لأنهم واسطة وسبب، قال رسول الله ﷺ: «أول ما يدعى إلى الجنة الحمّادون الذين يحمدون الله تعالى فى السراء والضراء» وقال عليه الصلاة والسلام: «من عطس أو تجشّأ فقال الحمد لله على كل حال رفع الله تعالى بها عنه سبعين داءً أهونها الجذام»[1].

وروى جابر، رضى الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد ينعم عليه بنعمة فيحمد الله تعالى إلا كان الحمد أفضل منها»[2] فقوله عليه الصلاة والسلام: «كان الحمد أفضل منها»[3] يحتمل: أن يرضى الحق بها شكرًا، ويحتمل: أن الحمد أفضل منها نعمة، فتكون نعمة الحمد أفضل من النعمة التى حمد عليها؛ فإذا شكروا المنعم الأول يشكرون الواسطة المنعم من الناس ويدعون له.

روى أنس، رضى الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أفطر عند قوم قال: «أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار، ونزلت عليكم السكينة»[4].

أخبرنا أبو زرعة، عن أبيه، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن أحمد البزار، وقال: أخبرنا أبو حفص عمر بن إبراهيم، قال: حدثنا عبد الله بن محمد البغوى، قال: أخبرنا عمرو بن زرارة. قال: حدثنا عيينة بن يونس، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن ثابت، عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال لأخيه جزاك الله خيرًا فقد أبلغ فى الثناء»[5].

ومن أخلاق الصوفية: بذل الجاه للإخوان والمسلمين كافة؛ فإذا كان الرجل وافر العلم بصيرًا بعيوب النفس وآفاتها وشهواتها فليتوصل إلى قضاء حوائج المسلمين ببذل الجاه والمعاونة فى إصلاح ذات البين وفى هذا المعنى يحتاج إلى مزيد علم؛ لأنها أمور تتعلق بالخلق ومخالطتهم ومعاشرتهم، ولا يصلح ذلك إلا لصوفىّ تامّ الحال، عالم ربانّى.

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.

(٥) متفق عليه.

روى عن زيد بن أسلم أنه قال: كان نبيّ من الأنبياء يأخذ بركاب الملك؛ يتألفه بذلك لقضاء حوائج الناس.

وقال عطاء: لأن يُرائى الرجل سنين فيكتسب جاهًا يعيش فيه مؤمن، أتمُّ لـه مـن أن يخلص العمل لنجاة نفسه.

وهذا باب غامضٌ لا يؤمن أن يفتتن بـه خَلـقٌ مـن الجـهّال المدّعـين، ولا يصلـح هـذا إلا اطّلع على باطنه فعلم منه أن لا رغبة له فى شـيء مـن الجـاه والمـال. ولـو أن ملـوك الأرض وقفوا فى خدمته ما طفى ولا استطال، ولو دخل إلى أتون يوقد مـا ظـهرت نفسـه بصريح الإنكار لهذا الحال.

وهـذا لا يصلـح إلاّ لآحـادٍ مـن الخلـق وأفـراد مـن الصـادقين ينسـلخون عـن إرادتـهم واختيارهم ويكاشفهم الله تعالى بمداده منهم فيدخلون فى الأشياء بمـراد الله تعـالى؛ فـإذا علموا أن الحق يريد منهم المخالطة وبذلَ الجاه يدخلون فى ذلـك بغيبـة صفـات النفس. وهذا لأقوام ماتوا ثم حشروا، وأحكموا مقام الفناء، ثم رقّوا إلى مقام البقاء؛ فيكون لهم فى كلّ مدخل ومخرج برهان، وبيانٌ، وإذنٌ من الله تعالى. فهم على بصيرة من ربّـهم، وهـذا ليس فيهم ارتياب لصاحب قلب مكاشف بصريح المراد فى خفىّ الخطاب؛ فيـأخذ وقتـه أبدًا من الأشياء ولم تأخذ الأشياء من قلبه وقته. ولا يكون فى قطر من الأقطـار إلا واحـد متحقق بهذا الحال.

قال أبو عثمان الحيرى: لا يكمل الرجل حتى يستوى فى قلبه أربعـة أشـياء: المنـع، والعطاء، والعزّ، والذلّ ولمثل هذا الرجل يصلح بذل الجاه. والدخول فيما ذكرناه.

قال سهل بن عبد الله: لا يستحق الإنسان الرئاسة حتى تجتمع فيـه ثـلاث خصـال: يصرف جهله عن الناس، ويحتمل جهل الناس، ويترك ما فى أيديهم، ويبذل ما فى يده لهم.

وهذه الرياسة ليست عين الرياسة التى زهد فيها وتعيّـن الزهـد فيـها لضـرورة صدقـه وسلوكه وإنما هذه رياسة أقامها الحق لصلاح خلقه، فهو فيها بالله يقوم بواجـب حقّـها وشكر نعمتها لله تعالى.